سَلَامَةُ الدَّارَيْنِ

في

دِرَاسَةِ مَوَاقِفِ السِّبْطَيْنِ العَلَمَيْنِ

رَيْحَانَتَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

الإِمَامِ الحَسَنِ وَالإِمَامِ الحُسَيْنِ

رضي الله عنهما

بِقَلَمِ خَادِمِ السَّلَفِ

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

لَطَفَ اللهُ بِهِ

المطلع القرآني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

[آل عمران:٦١]

المطلع النبوي

«إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»

رُويَ عن ١٦ صحابياً ، وسئل عنه الإمام أحمد فقال: صحيح

وأورده الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة

«إن ابني – يعني الحسين – يُقتل بأرض يُقال لها كربلاء فمن شهد منكم ذلك فلينصره» ، وفي رواية: «ألا وإن جبريل عليه السلام قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض ـ كربلاء ـ ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر»

الفتوح لابن أعثم الكوفي صـ (٣٢٦)

المطلع الأبوي

ذكر المناوي في طبقاته أن سيدنا الحسن V قال لرجل ممن يغلو فيهم: (أحبونا لله فإن أطعنا الله فأجيبونا، وإن عصيناه فأبغضونا قال الرجل: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته! فقال: ويحكم، لو كان الله نافعا بقرابة منه بغير عمل نفع بذلك من هو أقرب إليه منا (أباه وأمه)، والله إني لأخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين)

ومن دعاء الإمام الحسين يوم كربلاء: (اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض عنهم الولاة أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا) اهـ

الطبقات الكبرى للمناوي (١/ ١٣٩) راجع حاشية رجال أهل البيت صـ(٦٤٤)

شاهد الحال

«في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من تعزون».

الصواعق المحرقة ص(١٤٨)

الإهداء

إلى فـروع آل البيت الأطهار من أحفاد وأسـباط ذراري الإمامين العلمين سـيدي أبي محمد الحسن، وسيدي أبي عبد الله الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وإلى بقية آل البيت في المعنى العام من بني هاشم وبني عبد المطلب

ثم إلى كافة المنتمين إلى ديانة الإسلام ممن يرقبون الله في آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

هاكم جميعاً مدرسة أبوية نبوية شرعية غرست على عهد رسول الله بالمحبة

وجمعت قلوب الأشتات على قاسم التعلق بالأحبة

وأثمرت عبر التاريخ المتحول بين الغلو والجفاء محبّا صادقاً

ومبغضاً منافقاً

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

باب السلامة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى محمد بن عبد الله الرسول المقتفى، وعلى آله وأصحابه الكرام أهل الصدق والوفا، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

(وبعد) فالذي نعلمه من أمر هذا الدين أنه دين السلامة، وأن المبلّغ الأكرم والنبي الأفخم ﷺ دعا إلى منهج السلام والسلامة، وكان مثالاً لهما وأسوة وقدوة، وحرص ﷺ على أمته كي يورثها العمل بالسلام والسلامة في كل أحوالها، وبذل لأجل ذلك جهده ووقته بعون الله وتوفيقه حتى ظهرت ثمرات قوله وفعله وتقريره علماً شرعياً، كما ظهرت مواقفه وأسرار أحواله دلالات وبشارات وإشارات تميز بين الحق والباطل، والأمانة والخيانة، والسلامة والندامة، وكانت الأوعية المباركة مكاناً شريفاً ومشرفاً لهذه الوراثة النقية الطاهرة، ومنها أوعية آل البيت الأطهار، الذين خصهم الله تعالى بالذكر في كتابه بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب:٣٣].

وموضوعنا هنا دراسة المواقف النصيّة الثابتة في مظانّها الشرعية عن الإمامين العلمين الإمام الحسن والإمام الحسين، باعتبارهما مثالاً للسلام والسلامة، في تاريخ حياتهما الحافل بالمواقف والدلالات، بما يتلاءم مع مقامهما السامي وشرفهما الإيماني الإسلامي، على طريق الأئمة العدول المتلقين علمهم ومواقفهم بسندها المتصل إلى الرسول ﷺ، حيث إنّ هذا السند المتصل بصاحب الرسالة، والمواقف المرتبطة بشرف العدالة يجعل من سلوك السبطين في كل مرحلة وعصر منهجاً للاهتداء والاقتداء، بعيداً عن الهرج والمرج والاستعداء، و عن بث رُوح الفرقة والعداء.

فقراءة التاريخ أمانة، والاستدلال بالمواقف الأبوية اهتداء وديانة، وقد اختلّ في بعض مراحل التاريخ مقياس القراءة ومنهج الاستدلال ليصبح الاستدلال بمواقف الأئمة حجة للانتقام والتشفي، وأسلوباً علمياً وعملياً لعلة المنافسة والتحريش بين كتل الصراع المرتبطة بالحوادث والتحولات المرحلية.

وبما أننا نكتوي بنيران الصراع الطائفي والطبقي والاعتقادي والسياسي الناخر في جسدنا الإسلامي المعلول، فالحل الأدنى لمعالجة المشكلة التاريخية إعادة القراءة من واقع النصوص لا من واقع الحوادث وثمراتها.

وإعادة القراءة بهذه الآلية مشروطة بالنظر في جزئية شرعية من أجزاء أركان الدين، وهي فقه المتغيرات، المحصور في الركن الرابع من أركان الدين[1]، وبه لا بغيره تدرس العلاقة بين قراءة التاريخ مربوطاً بالنصوص النبوية أو النصوص الأبوية المؤكدة.. بعيداً عن مجريات الحوادث التاريخية وما يترتب عليها من مواقف وصراعات ومكايدات، تنزع بالعلماء قبل الدهماء إلى الوقوع في التصورات الذاتية والاستنتاجات العقلانية القاصرة.

ولأجل الخروج من هذه الأزمة كما سبق ذكره اعتمدنا في هذه الدراسة ما علمناه من فقه العلامات وعلم المتغيرات، الخاص بدراسة أحاديث علامات الساعة، وما يرتبط بها من فقه الأحاديث الاستباقية لقراءة الأزمنة والأمكنة والشخوص، وعدالة العدول وسلامة حملة منهج العلم والحكم من أي قادح مثبت منقول.

ولا شك أن الإمامين العلمين سادتنا الإمام الحسن والإمام الحسين هما ثمرة من ثمرات النبوة، تشرّف بهما منهج الأبوة، وتيقن بهما سلامة ارتباط النبوة بأهل الفتوَّة، فهما المثال الأسمى لحفظ الدين والعرض والمال وصون الشعوب عن إشاعة الذم وإساحة الدم، لأنهما أخذا علم السلام والسلامة من معدنه، واستخلصا أدب المعاملة من مكمنه، وبهما وبأمثالهما من سادة النمط الأوسط حفظ الله الشريعة والعقيدة ومراتب السلوك، حيث لم يرتكسا في مغامرات الإفراط ولا التفريط، ولم يجنحا في حياتهما إلى الغلو أو الجفاء أو التخبط أو التخليط، وكفى بسيرتهما النقية حجة، وبمواقفهما العلمية والعملية محجة، لمن ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾.

وهأنذا في بحثي المتواضع أبدأ مستعيناً بالله سبحانه وتعالى راجياً منه التوفيق والهداية

---

(١) هذا العلم مجموع في (فقه التحولات) الخاص بدراسة العلم بعلامات الساعة الحاوية على تجديد فقه لغة الدعوة إلى الله استناداً على ما أخبر عنه ﷺ من النصوص الاستباقية للأحداث قبل وقوعها..

وحسن الرعاية في كل حال.. آمين

المؤلف

نافذةُ الأمان

نافذةُ الأمان في تنشئة الأجيال الصالحة هي سلامة التربية الأولى، ونهاية مطاف الفرد والجماعة في معركة الحياة ما تعوّده في مرحلة التنشئة غالباً، وضابط التنشئة أدب الديانة في الأبوين كما أن ضابط النهاية أمر يخصّ القضاء والقدر فيما يعرف بعلم السوابق وعلم الخواتيم وأمرهما عند الله.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى للإمامين العلمين شروط التنشئة الصالحة بالأبوين وبالجدّ المخصوص بالرسالة، كما جُمع لهما سلامة السابقة وسلامة الخاتمة المفضية بلا شك إلى سلامة العاقبة في الآخرة.

وبهذا تكون الدراسة قائمة على عمق معرفتنا للإمامين العلمين من خلال مدلولات علميّ السوابق والخواتيم من جهة، إضافة إلى التعرف على مواقفهما الناتجة عن سلامة التربية وسلامة مصادرها، وبهذا التميُّز تُسْتَبْعَدْ المشابهةُ بينهما وبين من يحتج بمواقفهما على ثائرة الإفراط والتفريط لدى أتباعهما وشيعتهما ومحبيهما، وهذه مسألة دقيقة كل الدقة، شأنها شأن المتناولين شروط الاستدلال بسلوكيهما، من طرف الغُلاة المفرطين في ادِّعاء المحبة ليخرجا المحبوبية عن مقامها الشرعي، والجُفَاة الحاملين صفة البغض والعداوة بالاستنقاص لمراتبهما وخصوصياتهما المتميزة.

وتطل بنا (نافذة الأمان) على شخصيتين من نموذج خاص ترتقي فوق مستوى تربية الخواص بين كل عام وخاص.

والاعتراض المُفْتَرَض من البعض إن وجد على ما نقوله هنا عن الإمامين يندرج بالبديهة إلى ما هو مألوف لنا ولغيرنا في ميدان معركة التعليل والتحليل، من قراء أركان الدين الثلاثة، إن تمت القراءة بسلام وموضوعية دون الركن الرابع (وتلك شنشنة أعرفها من أخزم)، والبناء للمجهول في العبارات الأولى من البناء للمعلوم تفادياً لما لا نحتاجه في دراستنا الموضوعية عن الإمامين العلمين.

فما بالك إن كان الاعتراض من أَلْسِنَة العقلانيين المصابين بداء الأمم؟! وهم في عصرنا قومٌ كُثُر، ولدوا ونشأوا ونُشِّئوا وتعلموا وتخرجوا وباشروا صفة الفك والتركيب

بآليات العلمانية أو العلمنة أو العولمة المعاصرة، وهم من وجهة نظر فقه التحولات معذورون باعتبار ما فقهوه واستوعبوه، ودرسوه، وما اختلط في دمائهم وعقولهم وقلوبهم من العلوم الظنية العقلانية، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم:٢٨-٣٠].

وبرغم أن الآيات الكريمات تشير إلى الإعراض عن مثل هؤلاء فإن نداء الفطرة الأزلية يدعوا المستبصر أيضاً إلى التذكير والتبشير، اقتداء بالبشير النذير، لتقام الحجة على العقل الإنساني بوارد الفطرة الإيماني، فلعل وعسى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة:٤١]

نسأل الله السلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن...

التربية المشتركة بين ريحانتي رسول الله ﷺ

كان مولد سيدنا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مدينة الرسول ﷺ في شهر رمضان سنة ثلاثة من الهجرة النبوية المباركة.

كما كان مولد سيدنا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً بالمدينة المنورة في شهر شعبان من السنة الرابعة من هجرة جده المصطفى ﷺ، ولم يكن بينه وبين أخيه الحسن إلا طهر واحد.

قال عكرمة: لما ولدت فاطمة الحسن أتت به النبي ﷺ فسماه حسناً، فلما ولدت حسينا أتت به النبي ﷺ فقال: «**هذا أحسن من هذا، فشق له من اسمه، وقال هذا حسين**»[1]

قال المفضل: إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمّى بهما النبي ﷺ (ابنيه الحسن والحسين)[2]، وفي رواية جاء علي بعد ولادة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال رسول الله ﷺ: «ما سميته يا علي؟ قال سميته جعفر يا رسول الله، فقال: لا ولكن حسن وبعده حسين، وأنت أبو الحسن والحسين»[3].

ولما ولد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أذن النبي ﷺ في أذنيه بالصلاة، فقد جاء عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بالصلاة حين ولد» ، وكذلك فعل بالحسين عند ولادته، وعقّ عنهما ﷺ يوم سابعهما وحنكهما وتفل بريقه في أفواههما، وأمر بحلق رأس كل منهما، وتصدق بوزن شعرهما فضة، وكان ﷺ يعوذهما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامّة. اهـ

وكانت نشأتهما في رعاية وحجر ونظر رسول الله ﷺ غدواً وعشيا، منذ أن كانا في المهد إلى أن أضحيا فتيان يسعيان، بل كان ﷺ يأخذهما معه إذا خرج في بعض شؤونه يجعل أحدهما أمامه على البغلة، والآخر خلفه، فعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لقد قدت بنبيّ الله ﷺ، والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ**

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٧)

(٢)()تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٨)

(٣) الإصابة (٤/ ٣٣١)

هذا قدامه وهذا خلفه»[١]

وكان الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشبه برسول الله ﷺ من شعر رأسه إلى سرته، وكان الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشبه برسول الله ﷺ من لدن قدميه إلى سرته، اقتسما شبهه إلخ»[٢]، وأخرج الترمذي عن سيدنا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

وكان ﷺ يقبل سبطيه ويضمهما إليه، ويشمهما، وجاء عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه، وفي حجره، فقلت يا رسول الله أتحبهما؟ قال: **«وكيف لا أحبهما وهما ريحانتي من الدنيا أشمهما»**[٣] اهـ، وسئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: **«الحسن والحسين»**، قال : وكان يقول لفاطمة **«ادعي إليّ ابنيّ»**، فيشمهما ويضمهما إليه.[٤] اهـ

وحُفِظَ عن سيدنا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: **«لا تسبوا أبا بكر وعمر فإنهما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، ولا تسبوا الحسن والحسين، فإنهما سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، ولا تسبوا علياً، فإنه من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله عذبه الله»**[٥] اهـ وفي حديث الترمذي مختصراً[٦] أن النبي اعتنق الحسين فقبله وقال: **«حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبهُ الحسن والحسين سبطان من الأسباط»**، وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت عند ﷺ جالسا، فمرت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي خارجة من بيتها إلى حجرة نبي الله ﷺ ومعها ابناها (الحسن والحسين) وعلي في آثارهم، فنظر النبي ﷺ إليهم وقال: **«من أحب هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد**

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٧).

(٣) المصدر السابق (٧/ ١١٨).

(٤) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٦) حديث رقم (٣٨٦١).

(٥)()مختصر تاريخ دمشق(٧/ ١١٨).

(٦) انظر تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٦) برقم (٣٨٦١).

أبغضني»[١] ، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يصلي فإذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده أخذاً رقيقا، فوضع أحدهما على فخذه، والآخر في حجره، فقلت: يا رسـول الله، اذهب بهما إلى أمهما، قال: «لا، فبرقت برقـة، فقال الحقا بأمكما» فلم يـزالا في ضوء تلك البرقة حتى لحقا بأمهما)[٢]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه (كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «هيّ حسـن» قالت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لما تقول (هيّ حسن)؟ قال: «إن جبريل يقول هيّ حسين»[٣].

وعن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «الحسن والحسين من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله،ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغض الله أدخله نار جهنم، وله عذاب مقيم»[٤] اهـ

وعـن جابـر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب موصياً إياه بسـبطيه: «سـلام عليك أبا الريحانتين أوصيك بريحانتي من الدنيا»[٥] ،وجاء في «زاد المعاد»(١/ ١٩٠) (وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا عرض له في خطبته عارض، اشـتغل به، ثـم رجع إلى خطبته، وكان يخطب فجاء الحسـن والحسـين يعثُـران في قميصين أحمرين، فقطـع النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلامه فنزل فحملهما، ثم عاد إلى منبره، ثم قال: «صدق الله العظيم» ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفـال:٢٨] رأيـت هذان يعثران في قميصهما، فلم أصبر حتى قطعت كلامي فحملتهما».

وأخـرج البزار عن عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال للحسـن والحسـين رضي الله عنهـا: «اللهـم إني أحبهـا فأحبها، ومن أحبها فقد أحبّنـي»، وعن أبي هريرة

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٢٠-١٢١).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٢١)

(٣) أسد الغابة (١/ ٤٩٧)

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٢١)

(٥) مختصـر تاريخ دمشـق (٧/ ١٢٣) والريحـان والريحانة الرزق والراحة، ويسـمى الولد ريحانة لذلك اهـ

بلفظ: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»، وأخرجه النسائي وابن حبان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما وزاد في آخره «**واحب من يحبهما**» وفي أوله «**هذان أبناي وأبناء بنتي**»اهـ وأخرج الترمذي عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال في حديث مطول وفيه: «**ان هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**».

وتعد هذه البشارات والأوصاف العالية جزء من فقه الأحاديث الإستباقية التي ترد على لسان النبي ﷺ حاملة فقه الحصانة، وضمان لسلامة السابقة وسلامة الخاتمة.

أهل الكساء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم

أطلق هذا التعريف على المقصودين بالآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

روى ابن حبان بسند صحيح عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في منزله فقيل لي ذهب يأتي برسول الله ﷺ إذ جاء فدخل رسول الله ﷺ ودخلت فجلس رسول الله ﷺ على الفراش وأجلس فاطمة رضي الله عنها عن يمينه، وعليا عن يساره، وحسناً وحسيناً بين يديه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ «اللهم هؤلاء أهلي»، قال واثلة فقلت من ناحية البيت، وأنا يارسول الله من أهلك قال: «وأنت من أهلي» قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي»[1].

وروى الترمذي وغيره من حديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلّله بكساء ثم قال« اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة، وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير».

وروى مسلم وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرط مرحّل، من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

وبتعين مسمى أهل الكساء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تحدد مفهوم آل البيت الخصوص دون معنى آل

(١) رواه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي بألفاظ متقاربة

البيت العموم ممن يعرفون ببني هاشم وبني عبد المطلب، ويؤيد هذا التخصيص حديث المباهلة فيما ورد من معنى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا﴾ [آل عمران:٦١]، فقد روى الواحدي من طريق الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما تسلما» فقالا قد أسلمنا قبلك فقال كذبتما يمنعكما من الإسلام ثلاث: «سجودكما للصليب، وقولكما اتخذ الله ولد، وشربكما الخمر» فقالا: ما تقول في عيسى ؟ قال فسكت النبي ﷺ ونزل القرآن: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران:٥٨-٦١] فدعا رسول الله ﷺ إلى الملاعنة، قال وجاء بالحسن والحسين وفاطمة وأهله وولده عليهم السلام، قال فلما خرجا من عنده أي السيد والعاقب من وفد نجران قال أحدهما للآخر أقرر بالجزية ولا تلاعنة، فأقرّ بالجزية، قال فرجعا فقالا لا نقرّ بالجزية ولا نلاعنك فأقرا بالجزية».

وفي هذا الحديث ثبوت البنوّة للحسن والحسين رضي الله عنهما من أبوة النبي ﷺ في قوله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا﴾ وفيه شرف الآل المخصوصين بمسمى آل الكساء وتميزهم بالقرب المقرب من رسول الله ﷺ دون غيرهم.

ومثله حديث «دير خُم» المروي في صحيح مسلم من طريق يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنهم أجمعين قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: « أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال من هم قال آل

علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم» اهـ

وأخرج الطحاوي رحمه الله تعالى في شرح مشكل الآثار من طريق إبراهيم بن مرزوق، قال: حدثنا أبو عامر العقدي، قال حدثنا كثير بن زيد، عن محمد بن علي، عن أبيه عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ حضر الشجرة بخم فخرج آخذاً بيد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: **«يا أيها الناس ألستم تشهدون أن الله عز وجل ربكم قالوا بلى، قال ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم، وأن الله عز وجل ورسوله مولياكم قالوا بلى قال: «فمن كنت مولاه فإن هذا مولاه»** أو قال: **«فإن علياً مولاه»** شك ابن مرزوق أني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به، لن تضلوا كتاب الله سببه بأيدكم، وأهل بيتي».

وهذا الحديث ومثله من الأحاديث الشريفة أبرزت تفرد الوصف الشرعي لآل البيت، ومكانتهم في الإسلام، ومقامهم بين الأشباه والأمثال، وما يجب لهم من المحبة والولاء والتكرمة والتقدمة والإجلال، وهو الأمر الذي نزع بأقوام إلى الغلوّ والإفراط، ونزع بأقوام إلى الجفاء والتفريط وخرجت القضية بين الطرفين عن وظيفتها الشرعية إلى الإثارات والنعرات الطبعيّة بدءًا باشاعة الذم ونهاية باساحة الدم، وجَلَبَ الشيطان الرجيم بخيله ورجِله ووسّع دائرة البغضاء والحسد بين المصلين بما سماه النبي «المنافسة والتحريش» وهما من وسائل الشيطان في إشاعة الفرقة والصراع حتى صارت المنافسة والتحريش منهجية معرفة وثقافة فئات وأحزاب وجماعات يأكلون بهما ويشربون ويحرِّفون الكلم عن مواضعه طوعاً وكرهاً.

ولبعض العلماء فهم دقيق حول مسألة الحكم والسلطان في آل البيت، وهل يصلح لهم ذلك في كل زمان.

كتب الشيخ سعيد النورسي في كتابه ذو الفقار مفترضاً السؤال التالي لماذا لم تستقر الخلافة في آل البيت وعلماً أنهم كانوا أحق بها؟ وأجاب أن سلطة الدنيا خداعة بينما أهل البيت مكلفون بالحفاظ على حقائق الإسلام وأحكام القرآن، وينبغي لمن يستلم زمام الخلافة ألا تغره الدنيا كأن يكون معصوماً كالنبي، أو أن يكون عظيم التقوى، عظيم الزهد كالخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز والمهدي العباسي لئلا يغتر، فسلطة الدنيا لا تصح لآل البيت، إذ تنسيهم وظيفتهم الأساس، وهي المحافظة على الدين وخدمة الإسلام (وخلافة الدول التي قامت باسم آل البيت) كل منهم غدت حجة

على أن سلطة الدنيا لا تصلح لآل البيت، بينما نراهم متى ما تركوا السلطة، فقد سعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظير في خدمة الإسلام ورفع راية القرآن.

فإن شئت تأمل في الأقطاب الذين أَتَوْ من سلالة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا سيما الأقطاب الأربعة وبخاصة الشيخ الكيلاني، وإن شئت فتأمل في الأئمة الذين جاؤا من سلالة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا سيما زين العابدين وجعفر الصادق وأمثالهم، فكل هؤلاء قد أصبح بمثابة مهدي معنوي، بددوا الظلم والظلمات المعنوية بنشرهم أنوار القرآن وحقائق الإيمان، وأثبتوا حقاً أنهم وآرثو جدهم الأمجد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اهـ

قلت: ويؤد هذا المنحى ما فعله جملة من آل البيت ممن تجاوز مشكلة الحكم والمطالبة به، ونحا إلى خدمة العلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كأئمة آل البيت الحسنيين والحسينيين بحضرموت وغيرهما حتى مَنَّ الله ببركتهم وحسن أخلاقهم بنشر الإسلام في كثير من أصقاع المعمورة، والفهم المشار إليه لا يتعدى الرأي المستفاد، وليس الأخذ به قطعي الحكم حتى لا يصنف موضوعنا تصنيف التحريش أو المنافسة الجارية بين الأطراف، إذ نحن حريصون كل الحرص على الأخذ حسب المستطاع بمنهج النمط الأوسط الذين نترجم لهم ونعتمد النصوص الأساسية في وصفهم وتعليل شرف مواقفهم ونتجنب ما استطعنا علة الإفراط أو علة التفريط المبثوثة على الألسنة والأجهزة وركام المؤلفات والحواشي والرسائل فالنظر فيها نظر إلى ركام تاريخ وحوادث ومتناقضات.

أما النظر في النص النبوي والنص الأبوي المعتمد فديانة وحفظ أمانة، وارتفاع عن حضيض النفوس وأغراض الذوات وهذا ما يكفله للأمة قراءة الثوابت الشرعية مقرونة بعلم المتغيرات فنحن عرفنا سلفاً بدراسة (فقه التحولات) ذلكم الفقه الشرعي القائم على رباعية أركان الدين... إسلام وإيمان وإحسان وعلم بعلامات الساعة ومتغيراتها، وقد كان لآل البيت بدءًا بأهل الكساء وفي مقدمتهم السيدة البتول فاطمة الزهراء وبعلها الإمام الغالب وولديه الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الباع الواسع والفهم الشاسع والقول القاطع المانع الجامع، وفي هذا العلم يقول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة خرجت تقاتل مئة أو تهدي مئة إلا أنبأتكم

بسائقها وقائدها وناعقها ما بينكم وبين قيام الساعة).[1]

وقد ميز النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلاً من الشخصيتين الكريمتين بما يناسبها من الخصائص بدءً بالشبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونهاية بالسيادة لهما في الدنيا والآخرة، وبهذا التميز برزت في محيط الحياة العلمية والعملية ما يعبر عن هذا المعنى.

فقد كان سيدنا الحسن رضي الله عنه يجيب بعض السائلين عن تفسير كلمة من كلمات القرآن إجابة شافية، ومن ذلك أن رجلاً سأله من (الناس) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:٢] فقال الحسن نحن الناس وأشياعنا أشباه الناس، وأعداؤنا النسناس، فقبَّله سيدنا علي رضي الله عنه بين عينيه وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤][2]اهـ.

وجاء رجل إلى الإمام الحسن رضي الله عنه وقال: (إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً) فقال الإمام الحسن رضي الله عنه: (ليس بتيه ولكن عزة، فإن العزّ الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وتلا هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون:٨].

كما فسر الإمام الحسن رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج:٣] من سورة البروج فقال: الشاهد محمد، والمشهود يوم القيامة، وقد وافقه بهذا التفسير ابن عباس رضي الله عنهما، ومولاه عكرمة)[3] اهـ

وله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق:٤٠] قال رضي الله عنه أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل الفجر)[4]اهـ ، وله في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضُّحى:١١]، قال : إذا أصبت

(١) الفتن لنعيم بن حماد ص (٢٠)، وشرح البلاغة (٢/ ٢٨٦).

(٢) تفسير الرازي (٣٢/ ١٤٤).

(٣) تفسير بن عطية (ص١٩٦٣).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٢).

خيراً، أو عملت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك)[١]اهـ، وكان لهذا التميز في الفهم والعلم مندوحة التميز في السلوك والمواقف.. قال عمير بن إسحاق: (ما تكلم عندي أحد كان أحب إليَّ إذا تكلم ألاّ يسكت، من الحسن بن علي، ما سمعت عنه كلمة فحش قط إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض فاختلفا فقال الحسن: (فليس عندنا إلا ما رغم أنفه) فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط)[٢].

كما أن الإمام الحسين أدرك من حياة النبي ﷺ خمس سنين أو نحوها، وروي عنه أحاديث كثيرة وقال فيه جده المصطفى ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين» قال القاضي: (كأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بين القوم فخصّه بالذكر، وبيَّن أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعارض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسيناً» فإن محبته محبة الرسول ﷺ ومحبة الرسول ﷺ محبة الله عز وجل، وحسين سبط من الأسباط أي أمة من الأمم في الخير قال القاضي: السبط ولد الولد، أي هو من أولاد أولادي، أكد به البعضيّة، وقررها ويقال للقبلية قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف:١٦٠] أي قبائل، ويحتمل أن يكون المراد هنا على معنى أنه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير، فيكون إشارة إلى أن نسله يكون أكثر وأبقى، وكان الأمر كذلك)[٣].

وفي المسند بسند عن ربيعة بن شيبان قال قلت للحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ما تعقل عن رسول الله ﷺ قال صعدت غرفة فأخذت تمرة فلكتها في فيّ، فقال النبي ﷺ: ««ألقها فإنها لا تحل لنا الصدقة»، وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه»، ومن المرويات الشهيرة عن سيدنا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما أخرجه الطبراني بسنده عن فاطمة أبنته عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها»[٤]، وأخرج الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن

---

(١) القرطبي (٢٠/ ١٠٢).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢١).

(٣) محمد خليل جمعة «رجال أهل البيت» ص (٦٧٣)

(٤) المعجم الكبير (٣/ ١٣١).

علي بن الحسين عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ**»[١]

ويعتبر الإمام الحسين من رجال أهل البيت الذين يؤخذ عنهم الفتوى كما يؤخذ عنهم علم الحديث وروايته، فقد ثبت في كُتُب الأحكام الفقهية أن سيدنا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد لزم السنة يوم وفاة أخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قدّم للصلاة عليه سعيد بن العاص الأموي القرشي قائلاً له: (تقدم فلولا أنها سنة ما قدِّمتَ)، وأخرج الطبراني هذا الأثر بسنده عن أبي حازم الأشجعي قال: (رأيت الحسين بن علي رضي الله عنهما قدّم سعيد بن العاص في جنازة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).[٢]

وعُرف الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأخلاقه العالية، وشمائله الرفيعة، وسماحته اللطيفة الممزوجة بهدي القرآن حيث روي أن غلاماً له جنى جناية موجبة للعقاب فأمر الحسين به أن يضرب فقال يا مولاي: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ قال خلوا عنه فقال يا مولاي: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ قال قد عفوت عنك، قال يا مولاي: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[٣] قال أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك اهـ).[٤]

وكان بين سيدنا الحسين، وبين أخيه الحسن كلام ـ أي جفوة ـ فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال إني سمعت جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر إلى الجنة، فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلاً رضي الله عنهما)، وفي رواية (أن وقعت جفوة بينه وبين أخيه محمد بن الحنفية فكتب بن الحنفية (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أما بعد فإن لك شرفاً لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، أبونا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأمك فاطمة

---

(١) مسند أحمد (١/ ٤٢٩).

(٢) المعجم الكبير (٣/ ١٣٦).

(٣) آل عمران

(٤) نسبت هذه القصة لعدد من الشخصيات وذكرت في كتب عديدة راجع «رجال آل البيت ص ٧٠٥»

بنـت رسـول الله ﷺ، ولو كان ملئ الأرض نسـاء مثل أمي ما وافـين بأمك فإذا قرأت رقعتـي هـذه فالبس ردائك ونعليك وتعال فترضّني، وإياك أن أسـبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام).

فأدرك سيدنا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرام أخيه محمد، وعرف فحوى رسالته، فسارع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولبس رداءه، وتوجه إلى أخيه محمد بن الحنفية فترضاه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم

وهـذه النبـذة الرائعة من مواقف السـبطين دلالة على عظم التنشـئة وسـلامة التربية، ومعرفـة الحقـوق الواجبـة فيما بـين الأرحام والأقـارب، وهـي مثال لمعرفتهـم حقوق الأباعد والأجانب، وحسن المعاملة المشروعة مع الجميع.

معترك الحياة بين شاهد ومشاهد الولاء والانتماء

مرت حياة السبطين الكريمين مقتبل حياتهما تحت الرعاية الكريمة والتوجيه النبوي السديد، والعناية الأبوية والنظر الشرعي الأكيد، ومات رسول الله ﷺ وهما في سن اليفاع، وقد نالا منه ما نالا من العطف والمودة والأدب والأخلاق والعلم وقوة الإرتباط المعنوي الرشيد، ورسخت بهذا الأمر لدى الصحابة وآل البيت مكانتهما ومقامهما الشريف، وأكمل التربية الربانية والرعاية الإيمانية والدهما الإمام علي بن أبي طالب ووضعهما في صدر الزمان إمامين علمين عظيمي القدر والمكانة والهيبة والاحترام، أخذ عنهما العلم والحديث جملة من التابعين كجبير بن نفير وعكرمة مولى ابن عباس، وأبو مجلز لاحق بن حميد، وهبيرة بن مريم، وسفيان بن الليل، وأصبع بن نباته والمسيب بن نجبة ، وعامر الشعبي، وكرز التيمي، وعبيد بن حنين، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وهمام الفرزدق، وسنان بن أبي سنان الدؤلي، وطلحة بن عبيد الله العقيلي وآخرون)[1]

وقد بوَّبَ البخاري رحمه الله في صحيحه كتاب فضائل الصحابة فقال: (باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)، وذكر ثمانية أحاديث متصلة أسانيدها.

كما بوَّبَ الإمام مسلم في صحيحه لهما (باب فضائل الحسن والحسين)، وبالجملة فمرويات الإمامين العلمين مبثوثة في كافة كتب الحديث المعلومة، ومشتهرة في مضانها المعروفة، ومنها حديث القنوت في الوتر المروي عن الإمام الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: (علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لني فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، أنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[2].

---

(١) سب أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠) والإصابة (١/ ٣٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٥)، وهو القنوت الذي يسن لدى الشافعية قراءة في صلاة الصبح بعد الاعتدال من الركعة الثانية، ويقنت فيه الإمام بصيغة الجمع «اللهم اهدنا فيمن هديت»إلخ.

واعتبر فقهاء الإسلام وعلمائهم الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من علماء الصحابة الذين عُرِفُوا بالفتوى، ويرجع ذلك إلى ما نَالَاهُ من تمكين جدهما وعناية أبيهما الإمام علي وأمهما فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما كانا جديران به من ربهما فتحاً وموهبة، وما التزما به من الوصايا والتوجيهات المباركة العظيمة، فقد أُثر عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: (أوصاني أبي بثلاثين خصلة) وذكر منها (يا بني احذر الكبر والغضب والطمع).

فأما الكبر: فإنه خصلة من خصال الأشرار، والكبرياء رداء الله عز وجل ، ومن أسكن الله قلبه مثقال حبة من كبر أورده النار.

والغضب: يسفه الحليم، ويطيش بالعالم، ويُفْقَدُ معه العقل، ويظهر معه الجهل.

والطمع: فخٌ من فخاخ إبليس، وشرك من عظيم احتياله، يصيد به العلماء والعقلاء، وأهل المعرفة وذوي البصائر.

يا بني أرجُ عفو الله عن ذنوبك، وارجُ محاسن عملك، وارجُ شفاعة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائماً خطيباً على أصحابه فقال: « **أيها الناس، كأنَّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنَّ الحق على غيرنا وجب، وكأنَّ الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وأمَّنَا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب مكسبه، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، واستقامت طريقته، طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة، وأنفق مما جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وطوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولا يعدل عنها إلى بدعة** »ثم نزل[1].

وبهذه الآداب والقيم وأمثالها دخل الإمامان العلمان الإمام الحسن والإمام الحسين معمعة الحياة الاجتماعية خلال حياة والدهما ، وبعد وفاته.. وقف الإمام الحسن خطيباً بعد استشهاد والده ليقول للناس: (لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف

(١) رجال أهل البيت ص(٧٢٤).

حتى يفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبع مئة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله.

وعرفت الناس الإمام الحسن والإمام الحسين وهما على قدم الإتباع والعمل بالسنة الشريفة مع زيادة في الجهاد للنفس وحملها على الفضائل والحلم والكرم وحسن المعاملة مع البر والفاجر.

قيل لسيدنا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أحسن الناس عيشاً؟ قال: (من أشرك الناس في عيشه)، وقيل له من شر الناس؟ فقال: (من لا يعيش في عيشه أحد)، وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة؟ فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني لله سائل، وفيه راغب، وإن الله تعالى عوّدني عادة، عودني أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت عادتي أن يمنعني عادته...)، وروي أنه حج خمساً وعشرين مرة ماشياً، وكان يقول: (إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمشي إلى بيته)[1].

وأما الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمن بدائعه قوله: (خير المال ما وفي به العرض، ومن جاد ساد، ومن بخل رُذِّل)[2]، ومن مقولته النافعة: (خير المعروف ما لم يتقدمه مطْل، ولم يتبعه من الوحشة من الناس على قدر الفطنة بهم، النعمة محنة، فإن شُكرت كانت كنزاً، وإن كُفرت صارت نقمة)[3]، ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عما تحب مما يدعوك إليه الهوى)، ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا وردتْ على العاقل ملمّة قمع الحزن بالحزم، وقرع العقل بالاحتيال)، ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقماً)، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده)، ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: (الحلم زينة، والوفاءمروءة، والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة سفه، والسفة ضعف، والغلوّ ورطه، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة)[4].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٧).

(٢) رجال أهل البيت ص (٧١٧).

(٣) المصدر السابق (٧١٧).

(٤) رجال أهل البيت ص (٧١٩)، وروى الطبراني في معجمه، وابن عساكر في تاريخه أن الحسين

كانت هذه الحكم والبدائع الأبوية النبوية مظهر وجوهر المعاملات اليومية مع الناس لكلا السبطين الإمامين.

وكان الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار يعرفون قدر أهل البيت ومكانتهم، وكان سيدنا عبد الله بن عباس يجلّهما، ويرى أن قيامه بشأنهما من نعم الله عز وجل، فقد ورد أن ابن عباس كان في حيطان له فجاء حسن وحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فطافوا بالبستان فنظروا ثم جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، ثم جيء بطعام فأكلوا، ثم قاموا فتوضؤا، ثم قُدمت دابة الحسن، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، ثم جيء بداية الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، فلما مضيا قلت القول للمحدث ابن مدرك أنت أكبر منهما، تمسك لهما وتسوّي عليهما) فقال: يا لكع، أتدري من هذان؟ هذان أبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوليس هذا مما أنعم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما اهـ، وكانا أي الحسن والحسين إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما)، وذكروا أن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو من كبار علماء الصحابة ومن العبادلة الأربعة قعد إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في يوم بارد من أيام الشتاء، وما قام حتى تفصد جبينه عرقاً، فسأله رجل يا عمُ قال ما تشاء، قال: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فما قمت حتى تفصد جبينك عرقاً، قال يا بن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله اهـ).[1]

ويقول التابعي الحجة محمد بن سيرين رحمه الله: (ربما أجاز الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرجل الواحد بمئة ألف)، وزاد بعضهم في الرواية: (وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجيز الواحد بمئة ألف درهم، وكان إذا اشترى من أحد حائط بستانا ثم افتقر البائع يرد عليه الحائط، ويردفه بالثمن معه، وما قال قط لسائل لا، وكان لا يعطي لأحد عطية إلا شفعها بمثلها)[2]

بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حج خمسة وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه (النجائب الإبل التي تعد للسفر). اهـ

(١) رجال أهل البيت ص(٦١٥).

(٢) المصدر السابق ص(٦٢٠)، وروى ابن عساكر بإسناده قال: (خرج سائل يتخطّى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقرع الباب، وكان الحسين واقفاً يصلي، فخفف من صلاته،

وكان كل من الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما يعطفان على أهل الصفة والفقراء والمساكين ويكثرون من مجالستهم تأنيساً لهم واتباعا لأمر نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال أبو نعيم في الحلية: «وكان يزور أهل الصفة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأكابر من الأقارب والأشراف، يتبركون بما خصّوا به من الألطاف وعصموا به من الإسراف والإتراف)[1].

وبلغ من محبة الناس للسبطين أن يعرضوا عليهم الحرائر من بناتهم طلباً لبركة الصلة بهما (جاء عن جعفر الصادق رحمه الله أن سيدنا عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاطب الكوفيين فقال: (يا أهل الكوفة لا تزوجوا ابني الحسن، فإنه مطلاق فقال رجل منهم متحمساً يا أمير المؤمنين، والله لنزوجنه، فما رضي أمسك، وما كره طلق»[2]

وبلغ الإمام الحسن يوماً أن أبا ذر يقول للناس: (الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة) فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول من اتكل على الله حسن اختيار الله له لم يثمن شيئا، وهذا حدّ الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء)[3]

وروى بن عساكر في تاريخه بإسناده عن أبي المهزم قال كنا قال كنا مع جنازة امرأة، ومعنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجيء بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، فلما أقبلنا أعيا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه فقال الحسين يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا!! قال أبو هريرة: دعني، فوا الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم اهـ

وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر خادم الحسين فأجابه قال ما تبقى معك من نفقتنا، قال: مئتا درهم، أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، قال فهاتها، فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودفعها للسائل اهـ بتصرف وختصار عن الحسين حفيداً و شهيداً) عرفان بن سليم الدمشقي اهـ ص ٢٤).

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣).

(٣) نفس المصدر السابق (٣/ ٢٦٢).

مراحل الاختبار الصعب لمنهجية النمط الأوسط[1]

هناك من يشتغل بالقرار وامتلاكه وشعار هذا النموذج (الغاية تبرر الوسيلة)، فيفني نفسه وما حوله من الأسباب والوسائل لتحقيق الغاية التي يصبو إلها، إما القرار، وإما الدمار..

وهناك من يشتغل بالاستقرار ومقوماته، وشعاره (الغاية تقرر الوسيلة) فقد تلزمه الغاية التي يصبو إليها أن يتخلّى عن القرار ذاته ليحقق معنىً من معاني الاستقرار في حياته ويضمن السلامة لنفسه ولمن معه بعد مماته.

وهكذا كان مبدأ رجال النمط الأوسط في تاريخ امتلاك القرار وتبوء مراكزه، فالقرار مجرد وسيلة، وقد يتجاوزها عقلاء الديانة لأجل غاية أسمى، وهذا هو محور دراستنا لمواقف السيدين الإمامين الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وأرضاهم.

فهذا الإمام الحسن يقول في مقولاته الواعية: هلاك الناس في ثلاث: في الكبر، والحرص، والحسد.

فالكبر: هلاك الدين وبه لعن إبليس.

والحرص: عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة.

والحسد: رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل.

وبهذه العبارات الواعية ربط الإمام الحسن بين شرف الغايات وحسن اختيار الوسائل، وهذا لا يكون إلا ثمرة من ثمرات المعرفة الأبوية النبوية التي أرادها الله منهجاً للأخيار في معترك أسباب الاستمرار.

والإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان واحداً من نماذج الرجال الذين اجتمع لهم سلامة الفطرة مع سلامة التنشئة، وسلامة العاقبة، وكان لابد أن تتداركه السوابق ليتميز بخصوصياته

---

(١) النمط الأوسط تعريف جامع لخلفاء الحكم والعلم الراشدين المهديين من آل البيت وأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتابعين وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين، ممن سلكوا مسلك الهدى والسلامة قال عنهم الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (خير الناس من هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

عن أهل الطباع الجامحة.

فكان امتلاكه للقرار ثمرة للجدارة والمسؤولية وبالاعتبارات المجمع عليها، وكان تميّزه كونه قرأ الواقع الإسلامي من عصر الرسالة في حيات جده المصطفى ﷺ حتى عصر والده الإمام المرتضى، واستخلص من هذه القراءة شروط المحافظة على ما تجب المحافظة عليه، وما تجب التضحية به، فكانت المحافظة على شرف النبوة مقابل التضحية بمواقع القرار.

لقد ضحى بالوسيلة الرعنا والمعبود الأدنى في وجه الفريقين المتنازعين واحتفظ لأهله ولنفسه بالمنهج الذاتي المسؤول، وفيها يقول مخاطباً أخاه حسين عند ما حضرته الوفاة وإني لأرى أن لا تجتمع لنا الخلافة والنبوة، فلا أرى سفهاء الكوفة يستخفوك فيخرجوك.

إذن فالنمط الأوسط بين فريقين متعارضين:

- فريق التراكمات السلبية: الحريصة على الإمارة وبأي ثمن حرصاً على المكاسب.
- فريق التراكمات الإيجابية: الحريص على نصرة النمط الأوسط، وامتلاكهم للأمر.

وهنا تكمن المشكلة.. بل ربما فرضت نفسها على مجامع التفكير، وعلى امتلاك القرار والمصير، وهي ما يراه الناس من ضرورة المواقف أمام الحدث، بينما إمامنا الحسن في موقفه المتخذ (نمط خاص) ضمن مدرسة أهل النمط الأوسط، والحديث الشريف عن جده المصطفى يؤيد هذا التمييز ويصفه بالسيادة: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين» فجاء تصرفه تصرفاً سيادياً بين موقفين:

- موقف الموالين لامتلاك قرار الحكم في أهله مع القتال.
- موقف المصرِّين على انتزاع قرار الحكم ولو بالتضحية والمبرّرات.

ولا فصل بين الفريقين إلا بموقف ثالث إنه موقف النمط الوسط، موقف الصلح المؤيد بالنص والمحقق قدراً كافياً من السلامة للأمة في نموذجيها

المتنازعين، فالإمام الحسن خَبِر المجموعات كلها واختبرها، وكان له موقف منها ومن إفراطها وتفريطها في حياة والده وما سبقها من حياة الخلفاء الراشدين، فكان خاتمتهم وسيد البقية الباقية لم يتخذ قرار التنازل عن جبانة ولا خوفٍ من القتال أو المواجهة، فلقد كان في مقدمة الصفوف مع أخيه وأبيه في معارك الغايات المقررة معركة الجمل وصفين والنهروان وكلها معارك حاسمة لو كان القتال وحده وسيلة حسم ومعالجة.

إنه موقف خاص بقراءة فقه التحولات، وعمق نظرٍ للأحاديث الإستباقية التي قرأها وحققها وعرف معانيها من أحاديث من لا ينطق عن الهوى، ولعل والده الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصل إلى موقع القرار بعد فوات الأوان بأمر الله وقدره أما هو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقد جاء إلى موقع القرار في حينه بأمر الله وقدره أيضاً لينال شرف السيادة الموعود بها منذ صباه، وهذا ما يؤيده النص النبوي الصحيح عن أبي بكرة قال سمعت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»، وصدق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وكذب وخاب ظنّ المتقولين بتحكيم آرائهم وأفكارهم وسوء تصوراتهم.

فالسيادة المبشر بها رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم تكن خاصة بشرف الذات فحسب كما هي في أشباهه وأمثاله من أهل البيت ، بل هي سيادة خاصة ذات ارتباط بموقف سياسي في الأمة مستديم النفع والتأثير لمن ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق:٣٧] بل هو موقف أخرج النمط الأوسط في نموذج من نماذجه عن سيادة قرار الحكم إلى سيادة قرار العلم والوراثة الشرعية لمدلولات العدالة وصحة الأسانيد فيما جاء به النبي الأكرم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ من مبادئ السلام والعدل والأمانة والصدق وأعمال البر والتقوى التي لا مجال لتطبيقها عمليا إلاّ بمثل هذا الموقف الخطير.

إنه الموقف الذي حفظ الله به الإسلام في الأمة، وحفظ به دماء المسلمين من الإهدار في سبيل الملك، وعصم به الرجولة والعلم والوراثة من الضياع في معترك الأَسِنّة والرماح.

ولعل الذين لا يهمهم من الإسلام إلا كرسي القرار وسلطانه لا يروق لهم مدلول

السيادة التي بشر بها النبي ﷺ، ولا تستأنس نفوسهم إلى ثمراتها لأن السيادة منحة وموهبة، وليست اجتهاداً أو فهما من فهوم العقل أو النقل، فذهب الكثير من هؤلاء خلف شروط الفهم العقلي والنقلي يقيدون السيادة ويطوعونها للدماء والحروب والانتقام والأخذ بالثأر في ميدان لا يوجد فيه القاتل ولا المقتول لا حساً ولا معنى.

وسيرى القارئ المستبصر أن هذا المنحى المشار إليه هنا لا ينطوي تحت دائرة التشفي من مبغض، ولا تحت دائرة التأييد لمحب، وإنما يقرر مدلولاً شرعياً لطرف ثالث غفل عن الاعتناء به الكثيرون من ضحايا المراحل، سواء كانوا من طلاب كراسي الحكم أو من ناقضي وقابضي قرار العلم فيما بعد هذه المرحلة السيادية الشرعية إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.

وأما موقف الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهو بلا شك عند قراءته والنظر إليه من مدلولات سيادة النمط الأوسط لا من وجهة نظر الفريقين المتنازعين فسيكون الموقف المؤيد لما سلف عليه الإمام الحسن حسب النصوص الشرعية، ولم يكن يوماً من الأيام سنداً ولا موافقاً لفهوم المُفرطين الغلاة ولا المُفرِّطِينَ الجفاة، وهم في جانبي الموقف الحسني والحسيني إما مجتهدون أخطاؤا شروط الاجتهاد فلهم إذا سلمت نياتهم أجر، أو هم بغاة معتدون تحملوا بفهومهم ومواقفهم شر العقبى ومسؤلية ضياع الدماء والأعراض والأموال مع الإثم وثقيل الوزر.

وخذ من النصوص دلالاتها على ما نشير إليه في سلامة الموقفين السياديين موقف الإمام الحسن، وموقف الإمام الحسين:

أولاً: دوام شرف قرار الخلافة الراشدة في الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى تنازله، وبها انتهت الخلافة الراشدة نصاً قال ﷺ: «**الخلافة ثلاثون سنة وسائرهم ملوك والخلفاء والملوك اثنا عشر**»[1]، والتنازل من الإمام الحسن يقطع مدلول الخلافة الراشدة فيمن

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٦٢٣) وهو حسن صحيح، وعلى هذا الحديث يشير ابن حبان بقوله: (هذا خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن آخره ينقض أوله، إذ المصطفى ﷺ أخبر أن الخلافة ثلاثون سنة ثم قال: «وسائرهم ملوك» فجعل من تقلد أمور المسلمين بعد ثلاثين سنة ملوكاً كلهم، ثم قال: «والخلفاء والملوك اثنا عشر» فجعل الخلفاء والملوك اثنا عشر فقط أفظاهر هذه اللفظة ينقض أول الخبر، وليس بحمد الله ومنته كذلك، ولكن معنى

بعـده، وتبـدأ مرحلة الصلـح القائم على خلافة الملـك، كما ورد في حديث سـفينة مولى رسـول اللهﷺ أن رسول اللهﷺ قال: « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً** » اهـ قـال الشّراح لهذا الحديـث وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسـن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فإنه نزل عن الخلافة في ربيع الأول من سـنة أحدى وأربعين، وذلك كمال الثلاثين سـنة من موت رسـول اللهﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سـنة إحدى عـشر من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً كثيراً).[1]

قـال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٦) عن الإمام الحسـن: (وقد مدحه رسـول اللهﷺعلى صنيعه هذا، وهو تركه للدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء الأمـة، فنـزل عن الخلافة مـع انتهاء وانقضـاء مدتها الشرعية المقـررة، وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد)اهـ

ويؤيد هذا المنحى ما قاله الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رداً على من قال له بعد تنازله (يا مذل المؤمنين) فقال الإمام الحسنرَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لا ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك)، وهذا من فقـه الإمام الحسـن بتوقيت مرحلة الملك، وأنه قد انتهى وقت الخلافة الراشـدة بثلاثين عامـاً، ولم يبقى بعد هذه المدة المنصوص عليهـا غير القتال على الملك، وقد عرف الإمام الحسـن في القـوم رغبتهم للقتال في سـبيل الملـك، فجمع رؤوس أهـل العراق في قصر المدائـن وقـال: (يا أهل العراق لـولم تذهل نفسي عنكم إلا لثـلاث لذهلت: قتلكم أبي، ومطعنكم بطني، واستلابكم ثقلي أو ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت[2] معاوية فاسمعوا له وأطيعوا...) ثم قام فدخل القصر وأغلق الباب دونهم).

لقـد كانـت مواقـف الإمام الحسـن قائمة على دراسـة النصـوص وليس عـلى اندفاع

الخبر أن من بعد الثلاثين سـنة يجوز أن يقال لهم خلفاء أيضاً على سـبيل الاضطرار، وإن كانوا ملوكاً على الحقيقة وآخر الخلفاء الإثنا عشر كان عمر بن عبد العزيز... قلت والله أعلم، وهذه مسـألة جرى فيهـا الإختلاف بين العلماء وأفاض النظر فيها الإمام السـيوطي فـي كتابه (تاريخ الخلفاء) فليراجع.

(١) من رجال أهل البيت ص (٦٣٥) باختصار.

(٢) المبايعة هنا حول نقل سلطة الملك لا الخلافة لانقطاع الخلافة بالنص وبالتنازل.

المحبين ولا ضغوط المبغضين المنازعين... سواء بعد تولية الخلافة، أم قبل تحمله أعباءها ومسؤولياتها، فقد ورد في الآثار أن أهل العراق أكثروا الكتابة إليه بشأن أحقيته بالخلافة قبل أن يستخلف، فعن يزيد بن الأصم قال: (جاءت الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أضباره[1] من كتب، فقال يا جارية هاتِ المخضب فصبَّ فيه ماء وألقى الكتب في الماء، ولم يفتح منها شيئا، ولم ينظر إليها، فقلت يا أبا محمد ممن هذه الكتب؟ قال من أهل العراق، من قوم لا يرجعون إلى الحق، ولا يقصرون عن باطل، أما أني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاهم على ذاك، وأشار إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويفهم من هذا التنبيه الحصيف الذي تكلم به الإمام الحسن، أن علة المواقف لدى النمط الأوسط في تدخل المحبين وإصرارهم وأن الإمام الحسين سيُبتلى بهؤلاء القوم مما يكون سبباً في استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكما أشرنا سلفاً أن موقف الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقف اجتهاد صحيح ولا قادح فيه، وإنما القدح فيمن أشار إليهم الإمام الحسن في وصيته لأخيه: (لا أرى سفهاء الكوفة يستخفوك فيخرجوك)، وأما حقيقة خروج الحسين فهي أنموذج راق من نماذج قراءته للأحاديث الإستباقية التي يعلمها من كلام حده محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويستفاد منها عدة أمور:

الأول: أنه لم يحمل في عنقه بيعة لأحد من أمراء القوم الولاة على الملك العضوض حتى يخرج عنها.

الثاني: أن موقفه الشرعي قائم على النص النبوي منذ سقوط مرحلة الخلافة الراشدة، فم يبايع أحداً في ملكٍ عضوض.

الثالث: أنه برغم مراجعة كبار الصحابة وأمهات المؤمنين له بعدم الخروج كان متشبثاً بالخروج تبعاً لما فهمه من النص الإستباقي النبوي: **«إن الحرم يستحل برجل»** فكان يقول لا أريد أن أكون أنا هو) فخرج من الحرم حفاظاً على شرف حرمته أن لا يستبيحها البغاة بسبب وجوده فيه، بعد ابتعاث أهل الكوفة بيعتهم إليه، وقد استحل الحرم من بعده بموقف عبد الله بن الزبير فكان هو المعني بالحديث، وفي رواية أن ابن الزبير كان يقول للحسين حين عزم على الخروج (إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك، فقال له الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن

---

(١) الاضبارة – حزمة الصحف والرسائل

أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش) اهـ ، وفي رواية أخرى أن الحسين قال: (والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر - أي أرض الحرم - أحب إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ووالله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت) اهـ.

وفي الطبراني الكبير (٢٨٥٩) عن طاووس قال: قال ابن عباس: أستأذن حسين في الخروج، فقلت: لولا أن يزري ذلك بي أو بك لشبكت بيدي في رأسك، قال فكان الذي ردّ عليّ أن قال: لأن اقتل بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن يستحل بي حرم الله ورسوله قال فذلك الذي سلّ بنفسي عنه) اهـ

الرابع: أن خروج الإمام الحسين في سبعين من أهل بيته لا يعني القتال أو المنازعة على الملك، وإنما كما قال هو عن نفسه في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (إنما خرجت لأصلح في أمة جدي...).

إذن فخروج الإمام الحسين قائم على أمرين:

* النظر في أمر أهل العراق واختبار صدقهم فيما وعدو به دون تجييش لحرب.
* حفظ الحرم من أن يستحل به بعد بيعتهم المزعومة.

والأمر الراجح في خروج الإمام الحسين وإنه للإصلاح في أمة جده قوله للقوم حين نزل كربلاء، اختار واحدة من ثلاث:

إما أن تدعوني فانصرف من حيث جئت

وإما أن تدعوني فاذهب إلى يزيد

وإما أن تدعوني فألحق بالثغور

فكان ردّهم عليه لا ولا كرامة حتى يُبايع، أو تستسلم، فأبى الإمام الحسين ذلك فكان ما كان.

إن مقتل واستشهاد الإمام الحسين مرحلة تحول في حياة الأمة، لا تقف عند مجرد رواية الاقتتال وتفصيلاته، وإنما ترتبط بقراءة النصوص المعبرة عن الحادثة، وما يترتب عليها

في فقه علامات الساعة (فقه التحولات).

حيث أن مقتل الخليفة المصطبر عثمان بن عفان كان مفصلاً ومرحلة تاريخية خطيرة في حياة الأمة وردت بها النصوص، ولم تكن مجرد موقف شعبي ضد حاكم معين.

فكذلك مقتل واستشهاد الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فله آثار وردت بها النصوص حجة على طرفي الإفراط (المحبين المتخاذلين)، وطرف التفريط (المبغضين القاتلين)، ومنها ما أورده صاحب كتاب «الفتوح لإبن أعثم الكوفي ص ٣٢٥) قال: (فلما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سفر له، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك فقال: «**هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها كربلاء، يقتل بها ولدي الحسين ابن فاطمة، فقيل له من يقتله يا رسول الله؟ فقال له رجل يقال له يزيد لا بارك الله له في نفسه، وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها، وقد أهدى برأسه، ووالله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه**» قال ثم رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من سفره ذلك مغموماً ثم صعد المنبر فخطب ووعظ، والحسين بن علي بين يديه مع الحسن، قال فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، واليسرى على الحسين ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «**اللهم إني محمد عبدك ونبيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريّتي وأرومتي ومن أخلفهم في أمتي، اللهم وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء إنك على كل شيء قدير، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله**» اهـ قال وضج الناس في المسجد بالبكاء فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أتبكون ولا تنصرونه اللهم فكن أنت له ولياً وناصرا**»[1]اهـ

ولهذا ففقه التحولات المستنبط من معاني نصوص من لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يؤكد أن الصراع القائم إلى اليوم بين المحبين الراغبين في الأخذ بثأر آل البيت، والمبغضين المعاندين مسألة حق آل البيت إما بغمط حقوقهم، أو بإقصائهم وعدم الاعتراف بهم .. إنما هم نموذجان للعقوبة التي أصابت الأمة بعد المرحلة الكربلية، وثمرات دعوة مستجابة دعاها الإمام الحسين على الفريقين ما تناسلوا وما تنازعوا، ولن يسلم من هذه

---

(١) والرواية في حديث مطول ومبسوط عن مقتل الإمام الحسين وعواقبه.

الدعوة المستجابة إلا من اتخذ المنهج الأحوط والأسلم منهج أهل النمط الأوسط بصدق وصبر وسلامة اتباع وهو المنهج الذي ندين الله به وندعو الجميع إليه عن دراية وطول دراسة، فعن عكرمة مولى بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (بينما هو يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق وكان قوي الحجة بليغ العبارة يطرح أسئلة تحير الفهم وقال: يا ابن عباس تفتي الناس في النملة والقملة صف لي إلهك الذي تعبده، فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جالساً ناحية فسمعه فقال: إليّ يا ابن الأزرق فقال ألست إياك أسأل قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا نافع إنه من وضع دينه على القياس، لم يزل الدهر في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج، طاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يبان الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، بعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال، فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك!، فقال الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وأخي بالكفر وعليّ!!، قال ابن الأزرق أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام، فقال الحسين إني سألتك عن مسألة قال سل، فسأله عن هذه الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف:٨٢]، وقال يا ابن الأزرق من حفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق أبوهما، قال الحسين فأبوهما خير أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال ابن الأزرق قد أنبأنا الله تعالى أنكم قوم خصمون)[1].

وهذاملحظ بيّن يشير بوضوح إلى علة المكابرة عند هذه الجماعات المتشددة، حيث يعلمون الحق في أهله، ولكنهم يصرفون المعاني ويحرفون الكلم عن مواضعه، بالشبهات والمتاشبهات والمشابهات كمل قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٣٠-١٣١)

بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ [آل عمران:٧].

وكان لابن الأزرق ومن على شاكلته أن يرجع إلى الحق ويتوب، ويعرف للإمام الحسين ولابن عباس فضلهما من جهة، وحجتهما الشرعية من جهة أخرى ليسلم من الزيغ والفتنة، وسوء الأقاويل ولكنها كما قال المثل العربي «شنشنة أعرفها من أخزم»، وقد شهدنا بهذ المثل كثيراً لعلاقته بالمعنى.

وفيه إشارة إلى لصوق الفتنة والزيغ في حملة هذه الصفات، ويزداد لصوقهم بها بزيادة علمهم ومعرفتهم من جهة .. وتزداد غوايتهم وتأثيرهم على الآخرين بظواهر التزامهم بالطاعة والعبادة والأخذ عليها بعقوبة المخالف، وإظهار الغيرة على الدين والشريعة ..اعتقاداً منهم بسلامة الأخذ وصحة التصور وعدالة الحكم الذي يفهمونه .. إضافة إلى تأثير هذا الأمر بكافة صوره على المُشاهد والمحتك بحايتهم ومخرجاتهم، ولا يسلم من هذه الحالة إلا قارئ لنصوص الديانة في توصيف وتعريف الأمة بأهل الفتنة وعلاماتهم، أو تابعا مسلِّما منطوياً في الاتباع لمن يدله على الطريق السديد.

دمُ الإمام الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بين الخاذلين والقاتلين

تقتضي قـراءة المواقف العملية للإمام الحسـين معرفة الحقيقة التي كانت تراود نفسـه عليـه السـلام منذ حياة جـده وأبيه وأخيـه، وأن هذه المواقف الشرعية جزء من سـلوك أهل النمط الأوسـط في معالجة الأمـور وفق الشروط الذاتيـة والموضوعية المقروءة من نصوص العلم الاستباقي ومن واقع الحياة الاجتماعية.

ولعـل بدايـة النظر تكمـن في قراءة التفرد الشـخصي للإمام السـبط مـا أوردته كتب المناقـب عنه وعن صفة الشـبه بينه وبين جـده المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وصفة الشـبه بينه وبين أبيه الإمـام علي بـن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهذا التفرد ينطبق أيضـاً في قراءتنا لمواقف وأحوال الإمام الحسـن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ باعتبارها نمط خاص من أنماط سـلوك أهل النمط الأوسـط في دائرة التفرد القائم على الحصانة بالنصوص المشار إليها في مناقبه.

فقد جاء في الأثر: (كان الحسـن بن علي أشـبههم برسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ من شـعر رأسه إلى سرته، وكان الحسـين بن علي أشـبههم برسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ من لدن قدميه إلى سرته اقتسـما شـبهه)، وفي رواية الترمذي عن الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بلفظ: (الحسن أشبه برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ ما كان أسفل من ذلك).

ومـن الشـبه الحسي الخـاص بوصف الجسـد الشريف يسـتفاد معنى آخر، فالشـبه في الـرأس والصـدر يحمـل معنى التميـز في معـاني الرحمة والرأفـة وأخذ الأمـور باللطف وحسـن التصرف أمام الحوادث والمتغيرات بما يكفل السـلام والأمن ولو على حسـاب التنـازل عن بعـض الحقوق المشروعة مـا دام الفعل المتخذ يـؤدي إلى الهدف الأعلى من سـلامة الرأس وهو القرار والصدر المجتمع والأمة، كما أن الشـبه في الجزء الأسـفل من الجسـم يفيد معنى الحركة والرجولة، وما يتعلق بها من معاني العزة والفداء والتضحية، والاستبسـال، واتخاذ أسـباب التحرك ومدلول المبـاشرة لتحقيق الأهداف السـامية أو الموت دونها، وكلا الموقفين يلتقيان في معنى (خدمة الهدف الأسمى) برغم ما بينهما من تباين في اتخاذ الوسائل.

كـما أن النظـر فيما أثر عن فاطمة الزهراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي ترقّص الحسـن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صغره

وتقول: (بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمعها ويضحك).

وجاء في كتاب أنساب الأشراف أن سيدتنا فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا زَفَّنت أي رقَّصت الحسن قالت: وأبي شبيه بالنبي غير شبيه بعلي)[1]

والتشبيه من وجه معين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أو التشبيه من آخر بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلالة الامتزاج بين الصورة والمعنى في الجسد الواحد، وتشابه الصورة والحقيقة في تعدد الأفراد كل بما يناسبه في خدمة الأهداف المشتركة، بين مدلول السكون ومدلول الحركة على مقتضى حكمة الخالق في التوافق والتباين، وفي كلا الحالين سر وبركة.

وهذا التفصيل الدقيق يفوت على من حكّم العقل المجرد في سير الحوادث أو حكّم الفهم في تقدير مواقف الرجال، وثمرات سلوكهم.

أمّا من حكّم النصوص والنقول الشرعية، وألزم نفسه وغيره طول النظر في مرادات الله ورسوله عرف سر الله في عباده، وعرف المسافة النصّية بين تصرفات أهل الحصانة، وبين تصرفات أهل الخيانة، وميز بين موقف (آل البيت الأطهار) وموقف البغاة الأغيار، أو موقف الغلاة الأغمار واستدرك من نفس موقع التسويلات وعلم سر الله في أهل الخصوصيات، والتزم العدل في وصف كل فريق، وأعتمد النقل في معرفة خارطة الطريق: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ومن النور الذي جعله الله طريقاً لمعرفة الحق وأهله استنباط الحكم من ألسنة الأئمة الأطهار فالإمام الشهيد الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خطب في أصحابه يوم حصاره بشط الفرات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»** ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رَسْلِكُم وبيعتكم، أنكم لا تسلموني، ولا تخذلوني، فإن تممتم

---

(١) أنساب الأشراف علي وبنوه ص (٣٦٦).

على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنُكْر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).[1]

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (فلعمري ما هي بكم بنكر لقد فعلتموها بأبي أي بالإمام علي بن أبي طالب، وأخي أي بالإمام الحسين وابن عمي أي بمسلم بن عقيل بن أبي طالب الذي بعثه الحسين مستوثقاً له بالأمر وكان مصيره القتل على يد عبيد الله بن زياد، والخِطَاب من الحسين مشترك للقتلة البغاة، والخاذلين الغلاة من أهل العراق آنذاك).

ويستفاد من نص الإمام الحسين عدم رضاه على الفريقين ساعة موقف الحسم، وهي الساعة التي كانت النصرة فيها واجبه ولازمة ونافعة أما ما ترتب على الولاء والبراء بعد ذلك فمسألة أخرى لا علاقة لها بمطلب الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وربما كانت مطلباً لغيره ممن جاء من بعده، وهذه مسألة تستحق الدراسة منفصلة عن حادثة المعركة وملابساتها، ففقه التحولات يبني الأحكام على نصوص الأئمة ساعة الحسم، ولا يبني شيئا على تأسف الباغين، ولا بكاء الخاذلين، بل ولا يترتب عليه امتداح محب كانت عليه جزء من مسؤولية الموقف، ولا ملامة مبغض بعد اشتراكه في مذبحة البغي والعدوان.

فمواقف المحبين عقدة ذنب وملامة المبغضين كموعظة الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... ذلك مثل الذين كذبوا بآيات الله...

ومن آيات الله الجارية على ألسنة أوليائه ما قاله الشهيد الحسين مخاطباً أهل الفتنة والبغي من الفريقين خطاباً واحداً لا يفرق فيه بين محب متخاذل ولا عدوّ مقاتل (تباً لكم أيها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوكم وعدونا فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً عليهم مع أعدائكم لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح

(١) راجع حياة الصحابة (٣/ ٤٨٥- ٤٨٦)

لكـم فيهـم، ومن غير حدث كان فينا، ولا رأي تفيّـل[١] منا إلى أن قال ألا فلعنة الله على الناكثـين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلوا الله عليهم كفيلا، ألا وإن ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين الشـدة والذلة وهيهات منا الدنية، يأبى الله ورسوله ذلك والمؤمنـون، وحجور طابت وحُجُـر طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيـة، أن تؤثر مقام اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وخذلة الناصر،

ألا ثـم لا تلبثـون بعدهـا إلا كريث ما يُركب الفـرس، حتى تدور بكـم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور[٢]، عهد عهده إلّي أبي علّي، فاجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ....)[٣]، وفي هذه الخطبة الحسينية دروس جمة وشهادة تاريخية مهمة، ومنها:

١- جمـع الإمام الحسـين عتابه للبغـاة المعتدين والغـلاة الخاذلين في كلمة واحـدة لا يميـز بـين هـذا وذاك، ممـا يشـعر رغبتـه في نموذج صـادق من غير الفريقين إن وجد.

٢- موقفـه مـن شروط ابن زياد الموصوفة بالشـدة من جهـة أو الذلة من جهة أخرى، وإيثاره الموت كريما، على المقام تحت الذل لئيماً.

٣- يقيـم الحجـة على أولئك وعـلى التاريخ كله في أمة القرآن والسـنة أنه لم يكن في اسـتعداد لقتال ولا خرج لأجله، وإنـما فرض عليه القتال دفاعاً عن شرفـه وكرامـة أهل بيتـه الذين قال عنهـم (وإني زاحف بهـذه الأسرة على قلة العدد، وخذلة الناصر).

٤- يعدهـم بعد هـذه المعركة القائمة ضـد العدل والأمانـة أن تدور بهم الدوائـر وينتقم الله له منهـم على مدى التاريخ كما عهد لـه بذلك والده الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما يؤكد أن الصراع الجاري تاريخياً بين الفريقين إنما هو عقوبة من الله عـلى الفريق القاتل ومن أيّد منهجهم إلى يوم الدين، وعلى الفريق المتخاذل

(١) تفيل منا – التفيل الخطأ والتقبيح
(٢) قلق المحور: عدم الاستقرار في مكان واحد.
(٣) رجال أهل البيت ص (٧٢٣)

ومن أيد منهجهم إلى يوم الدين إلا من رحم الله بتوبة أو عود إلى منهجية النمط الأوسط غير غال ولا جاف ولا مُفْرط ولا مُفَرّط.

وقد أورد الثعالبي في الإقتباس ما يشير إلى موقف أهل النمط الأوسط من هؤلاء المحبين والمبغضين سواء بسواء في لاحق المراحل فقال: (لما ارتحلت سكينة بنت الحسين بعد مقتل زوجها مصعب بن الزبير عن الكوفة ارتفعت أصوات أهليها بالبكاء فقالت سكينة لا أحسن الله عليكم الخلافة من أهل بلد قتلوا جدي وأبي وزوجي فأيتموني صغيرة وأرملوني كبيرة ثم أنشأت تقول:

يبكون من قتلت سيوفهمُ   ظلماً بكاً متقطع القلب

كبكاء أخوة يوسف وهمُ   حسداً له ألقوه في الجب[1]

وإذا كان لأتباع النمط الأوسط موقف يقتدى به ويهتدى في تاريخ التحولات وسير المتغيرات فالقراءة النصية لأحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ في فقه التحولات، والقراءة النصية لأقوال أئمة آل البيت بتأن وموضوعية، والقراءة النصية لمواقف الآخذين بمنهج الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي من غير إفارط ولا ترفريط.

(١) الاقتباس (١/ ٩٥ – ٩٦) للثعالبي.

مرحلة التعايش في سبيل الاستقرار وسلامة الاستمرار حتى وفاة الإمام الحسن

بعيد تنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القرار السياسي وانتقاله مع أهله وأسرته وأخيه الحسين إلى المدينة المنورة، استقر بها واشتغل في هذه المرحلة من تنازله حتى وفاته بالتصدر في مجالس العلم وخدمة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقضاء حوائج الناس، وإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الأمة عموماً وخصوصاً، منصرفاً عن الفتن وأسبابها، ومطلعاً على أقماعها وأربابها دون إثارة ولا طلب إمارة، مستعيناً بالله في سره وجهره معتنياً بآل البيت ومحبيهم ومن في دائرة أمره ونهيه حتى دعاه داعي مولاه[1]، وانتقل إلى عالم ربه عام (٥١) من الهجرة وعمره بين (السابعة والأربعين أو الثامنة والأربعين)، وارتجّت المدينة المنورة صياحاً لوفاته، ولم يبقى أحد إلا بكى عليه، وحمل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جنازة مهيبة إلى البقيع بعد أن صلى عليه سعيد بن العاص أمير المدينة وقدمه الإمام الحسين وقال: (تقدم فلولا أنها السنة ما قدمتك)، ووقف الإمام الحسين على قبر أخيه الحسن عند مدفنه وقال: (رحمك الله أبا محمد، إن كنت لتناصر الحق مظانه وتؤثر عند الله مداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الرؤية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة، وتردع بادرة أعدائك بأيسر المؤنة عليك، وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة،

(١) جاء في بعض الآثار أنه لما حضرت الإمام الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الوفاة بكى بكاءاً شديداً، فقال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يبكيك يا أخي وإنما تقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى وعلي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات ، ومشيت إلى بيت الله على قدمك خمس عشرة مرة حاجّا، وإنما أراد أن يطيب نفسه، قال فوالله ما زاده إلا بكاء وانتحابا، وقال يا أخي إني أقدم على أمر عظيم مهول لم أقدم على مثله قط) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٤١).

وإلى رَوح وريحان وجنة نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الاتّساء عليه)[١]

وورد أيضاً عن ساور مولى سعيد بن بكير (رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ فابكوا)[٢]

واحتشد الناس في جنازته حتى لو طرح إنسان إبرة لما وقعت إلا على إنسان من شدة الازدحام، وكان موته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أليما على بني هاشم خاصة، وعلى أهل المدينة عامة، وعلى كل من عرفه وخالطه رحمه الله رحمة الأبرار ونفعنا به وبسره في الدنيا والآخرة.

وله من الأبناء الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبوبكر، وعبد الله.... وهؤلاء قتلوا في معركة الطف بكربلاء مع الإمام الحسين رحمه الله وإياهم أجمعين.

وبقي من أبنائه عمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، ولم يعقب من أبنائه سوى الحسن وزيد، أما الحسن فأعقب خمسة أولاد ولهم ذرية، وأما زيد فأعقب إبناً واحداً هو الحسن بن زيد وله عقب كثر ومن أبنائه السيدة نفيسة المدفونة بمصر، ومن أولاده القاسم، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسحاق، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وذرية الإمام الحسن ذرية واسعة ومعلومة المكان في سائر الأوطان.

(١) تاريخ دمشق(٧/ ٤٦)، والإتّساء من التأسي، وهو حسن التذكر وحسن الاقتداء.

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٤٦).

بداية النهاية

وأما الإمام الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أكمل بقية حياته مع أخيه الحسن وأهل البيت بادئ ذي بدء في المدينة المنورة مشاركاً لأخيه الحسن في نشر العلم والتصدر له ملتزماً بما التزم به الإمام الحسن في شروطه في حطه وترحاله قائماً بحق الله وحق العباده كما يجب عليه ويلزم، ولم يزل كذلك حتى توفي أخاه الإمام الحسن، وآلة إليه زعامة آل البيت الكرام الأطهار فقام بها مع من يليه أحسن المقام مبتعداً عن أسباب الفتنة والآثام حتى نزع الشيطان بأهل الفتنة وادّعوا خلافة الأمر من بعد معاوية ليزيد، ولم يقبل الإمام الحسين هذه الفرية وأبى أن يضع يده في يد يزيد كما أبى من قبل أن يضع يده في يد معاوية، وقال لأخيه الحسن (أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدالك) لكنه لم يبايع، ولم يعترض عليه الإمام الحسن ولم يلزمه بالمبايعة.

ولما طمع معاوية في وضع الخلافة من بعده ليزيد تألم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وامتنع هو وابن الزبير فأخذ معاوية بيعتهم مكرهين وأعلن موافقتهم على الملأ دون رضاهم، فغلبوا وعجزوا ان يعلنوا اعتراضهم على البيعة حتى مات معاوية وتسلم الخلافة يزيد وبايعه أكثر الناس ولم يبايعه ابن الزبير ولا الحسين، وخرجا من المدينة إلى مكة واستقرا بها، ومن ثم كاتبه أهل العراق بالخروج وقبول بيعتهم له، فاستحسن الخروج عن مكة والذهاب إلى العراق كما سبق ذكره في سالف الكتاب، ولم يثني عزمه اعتراض الصحابة والتابعين وأمهات المؤمنين، بل جد عزمه على الخروج مع جملة من أبنائه وأبناء أخيه الحسن وجملة من أسرتيهما في نيف وسبعين فرداً كلهم لقو حتفهم في معركة كربلاء المشؤومة، ما عدا الإمام علي زين العابدين بن الحسين حفظه الله من القتل، فكان مريضاً آنذاك وبحفظ الله له بقيت ذرية الإمام الحسين من عقبه المبارك، وهم الذين يطلق عليهم (بقية السيف).

وقُتل الحسين شهيداً مظلوماً، وقتله كانت معصية كبرى أصيب بها المسلمون ، ولا زالت الأمة تعاني أثرها فرقة وهرجاً ومرجاً واختلافاً إلى اليوم، وقد أشرنا إلى هذا الأثر الذي أصيب به المبغضون، والخاذلين فيما سبق في هذا البحث المتواضع .. وهذه القراءة على ما أعتقد ـ والله أعلم ـ أنها قراءة أهل النمط الأوسط المتبرئين من موقف الفريقين

المتنازعين:

* فريق الجفاة المبغضين القاتلين
* فريق الغلاة المحبين المتخاذلين

فكلا الفريقين تاريخياً يعملون لمصلحتهم ولا يرقبون في آل البيت إلاًّ ولا ذمة إلا من رحم الله ... وهو قليل وأقل من القليل وللأسف.

وفي مقتله قال سليمان بن قتة التميمي:

وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقابا من قريش فذلت

مررت على أبيات آل محمد ... فألفيتها أمثالها حيث حلت

وكانوا لنا غنماً فعادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

إلى أن قال:

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وقد اعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمها ناحت عليه وصلت

وأما الشهداء الذين قتلوا معه فمنهم:

١- جعفر بن علي بن أبي طالب
٢- العباس علي بن أبي طالب
٣- أبوبكر علي بن أبي طالب
٤- محمد علي بن أبي طالب
٥- عثمان علي بن أبي طالب
٦- عبد الله بن الحسين بن علي
٧- علي الأكبر بن الحسين بن علي
٨- عبد الله بن الحسن بن علي

٩- القاسم بن الحسن بن علي

١٠- أبو بكر بن الحسن بن علي

١١- جعفر بن عقيل بن أبي طالب

١٢- عبد الله بن عقيل بن أبي طالب

١٣- عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب

١٤- عبد الله بن مسلم بن عقيل

١٥- عون بن عبد الله بن جعفر

١٦- محمد بن عبد الله بن جعفر

١٧- مسلم بن عقيل بن أبي طالب

١٨- محمد بن أبي سعيد بن عقيل

١٩- سليمان مولى الحسين بن علي

٢٠- منجح مولى الحسين بن علي

٢١- عبد الله بن بقطر رضيع الحسين بن علي

٢٢- عتيق بن علي بن أبي طالب

٢٣- علي ابن العباس بن علي بن أبي طالب

٢٤- عبد الله ابن العباس بن علي بن أبي طالب

٢٥- عبيد الله بن أبي طالب

٢٦- قارب الديلمي مولى الحسين بن علي

٢٧- الحارث بن نبهان مولى حمزة بن عبد المطلب

٢٨- عبد الله بن بيطر

ودفن الإمام الحسين بالطف عند نهر كربلاء، وأما رأسه فحمل إلى الكوفة،ومدفن

الـرأس مختلـف فيـه فقول أنه دفـن بالمدينـة في البقيع، وقيـل في داخل بـاب الفراديس بدمشـق، ويعـرف مكانه بمسـجد الرأس إلى اليـوم، وروى عن طائفـة الفاطمية الذين حكمـوا الديـار المصرية أن رأس الحسـين وصل إلى مصر ودفنوه بها وبنوا عليه المشـهد المشـهور بمـصر، ولم يثبـت مـن هـذه الأقوال شيء، كـما دفنت بقيـة الشـهداء في موقع المعركـة، وحمـل من تبقـى من آل البيت بعـد المعركة إلى الكوفة أسـارى، ومنه نقلوا من الكوفة إلى الشام، ثم نقل آل البيت جميعاً من الشام إلى المدينة والله أعلم.

آثار المرحلة الكربلية ومخرجاتها

أشرنا فيما سلف من الفصول أن دراسة المرحلة في فقه التحولات مرتبط بالنصوص، وليس بالحوادث وحدها .. حيث أن الحوادث ثمرة لما نصت عليه المقولات الاستباقية المتلفظ بها قبل حدوثها إما بالوصف المباشر لها ، أو بالإشارة لظواهرها ومظاهرها، وتكاد الحوادث التاريخية أن تندرج بمجموعها تحت هذه القاعدة الشرعية إلاّ ما ندر منها ولعل عدم اندراجها فيما ذكرته النصوص يرجع إلى ما فات على الصحابة والتابعين من الأحاديث بعدم التدوين أو بالنسيان كما ورد في قول بعضهم (حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه).

وينطبق هذا القول على ما عرّفناه هنا بالمرحلة الكربلية وهي ما حصل لآل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم من القتل والنهب والأسر والأذى على يد طائفة البغي السياسي الحاكم، وما ترتب على هذا البغي من العقوبة المشار إليها في النصوص النبوية والنصوص الأبوية على كلا الفريقين فريق البغاة القاتلين، وفريق الغلاة الخاذلين، وهذا هو محور تناولنا الخاص بفقه النمط الأوسط المشار إليهم بسادة الصلح من أبناء الإمام الحسن، وبقية السيف من أبناء الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومن تبعهم وأحبّهم بإحسان من غير إفراط ولا تفريط، والإحسان المشار إليه (ما وقفه الإمام الحسن من قبول الصلح طمعاً فيما عند الله وحقناً لدماء المسلمين، حيث علم يقيناً أن مرحلة الخلافة المشروعة قد انقطعت بالثلاثين عاما المقررة في نص الحديث وبقي الملك .. فاختار الفصل بين الخلافة ومرحلة الملك وسلم القرار السياسي لمن يرغب في إثمه وتبعته، وحفظ ماء وجه الوراثة الشرعية لسابق القرار المدعوم بالنص .. إضافة إلى حفظ وراثة العلم المشار إليه بالحديث: «يرث هذا العلم» مفصولاً عن قرار الحكم «من كل خلف عدوله – ينفون عنه تحريف الغالين» من الإفراط والتفريط وهم البغاة القاتلون، والغلاة المتخاذلون «وانتحال المبطلين» دجاجلة المراحل ومهندسوا الفصائل «وتأويل الجاهلين» أقماع الاتباع من أهل الانتفاع والاندفاع في كل مجموعة ونظام، وبهذا الموقف العملي المتميز انقذ الإمام الحسن الإسلام في أهله وأتباعه الحاملين لواء الحق عن هوى الخلق يعملون في مستوى الشعوب بعيدا عن صراع السلطان، وخطوات الشيطان.

وكذلك فعل الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحدد بموقفه البطولي في كربلاء مسؤلية الدفاع المشروع من أهل البيت عن أنفسهم ومبادئهم الوسطية الشرعية حتى الموت في سبيل الله وترك القاتلين والمتخاذلين يحتلبون من خلال صراعهم واختلافهم ونزاعهم دم الحسرة والندامة وعقدة الذنب والملامة إلى يوم الدين.

ويليقُ هنا أن ننادي (آل البيت من سادة الصلح وبقية السيف خصوصاً) وبقية آل البيت من بني هاشم وبني عبد المطلب عموماً، أن يفقهوا هذه المسألة، ويتوقفوا عن المشاركة الفاشلة في إذكاء نار الصراع بين نماذج المحبين المندفعين، ونماذج المبغضين المنتفعين، فكلا الفريقين يخدمون الشيطان الرجيم، منهم من يفعل ذلك بعلم مسيس ومنهم من يفعله بجهل مركب، وأصل نجاح العلم الشيطاني المسيس والجهل النفساني المركب، غياب الفقه الشرعي لمدرسة النمط الأوسط، وضياع أصوات رجالها العدول، في حلبة الفوضى العارمة، والدعوات العصبية الهادمة، جيلاً بعد جيل ومرحلة بعد أخرى .. حتى صار الغلو في جهة المحبين والجفاء في جهة المبغضين قابض على أزمة المواقف العلمية والعملية، ومفسر للحوادث ومجيش للعواطف، وهادم كل اعتدال مشروع، ورأي وسطي مجموع.

لقد تكون الاعتدال المشروع والفكر الوسطي المجموع منذ تنازل الإمام الحسن عن كرسي الحكم مطبقاً وصية والده الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المحرج من واقع الفتنة، والمقتول بسيف الإحنة، من أشقى الآخرين ابن ملجم المندفع إلى جهنم بسوء فهم ديانته العقلانية، وفتاويه النارية وعقيدته التوحيدية الإبليسية (لا حكم إلا لله) وهي كلمة حق أريد بها باطل والعياذ بالله.

لقد وقف الإمام علي معلنا حاجة الأمة إلى موقف جديد يكمل موقفه السديد، فها هو يخطب في القوم آخر حياته ويقول: (اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملّوني، فأرحني منهم وأرحهم منّي، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته) [1]. اهـ

وتأكد الإعتدال المشروع والفكر الوسطي المجموع منذ اتخاذ الإمام الحسين موقف

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٤).

القتال بأهله وذويه دفاعاً عن شرف النمط الأوسط من أبناء الحسن والحسين المحتشدين في ساعة الكرب والبلاء دون محبّ مدافع، ولا صديق ممانع.

فموقف المحب والصديق من بعد انتهاء المعركة الكربلية مجرد موقف ذاتي ناتج عن عقدة ذنب وشعور نفسي بالإحباط من آثار الحرب ولا علاقة له بما كان الحسين وآل البيت محتاجون إليه ساعة النصرة المأمور بها من رسول الله ﷺ من قوله: **«إن ابني يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد منكم ذلك فلينصره»** فالزعيق والشهيق والصراخ الصادر عن المتخاذلين ومن يرغب في الأخذ بثأرهم لا يخدم منهج الشهداء من سادة الصلح وبقية السيف، وإنما يخدم الباحثين عن السلطة والجاه واستعباد الإنسان، وقد فعلوا ذلك واستثمروا أفضل استثمار، وأمرهم إلى الله..

وإنما الذي يخدم منهج الشهداء، ويحجم موقف الاندفاع والانتفاع هو موقف الإمام علي زين العابدين صاحب الحق في طلب الثأر إن كان مطلباً مشروعاً لدى النمط الأوسط، فهو الذي عمّد وزكّى مبدأ الاعتدال المشروع والفكر الوسطي المجموع، والتفت إلى الحياة من حوله فوجدها تغص بالمتنمرين من طرفي الغلوّ المندفع والجفاء المنتفع، فاشاح نظره الثاقب عن الجميع ليصنع السلام النمطي المتميز بالراغبين من الأتباع والأشياع وعموم المصلين وطلبة ميراث علم سيد المرسلين، وتصدر ميدان المعركة العلمية في المساجد والمجالس ومواقع البذل الشرعي والعطاء المعرفي، ليقيم صرح العدالة والإسناد، وحفظ الأمانة في سائر البلاد، وطأطأت لشرف موقفه الأبوي النبوي هامات أولي السلطان المنقوض والعلم المقبوض.

واقتدى بهذا المبدأ النمطي المتميز أيضاً أئمتنا العدول وساروا عليه في المجتمع السياسي المتنازع، وبه لا بغيره حفظت وراثة العلم الشرعي بعيداً عن طرفي الغلو والجفاء على مدى تاريخ الملك العضوض ودوله المتعاقبة، وهذا الذي نهتم بدراسته من خلال النصوص النبوية، والبحث عن أتباعه ومؤيديه في أبناء السلالة الشريفة الأبوية، ومن تبعهم بإحسان وصدق يقين إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.

إن فهمنا لحديث رسول الله ﷺ من قوله: **«وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** باعتبار عالمية الموقف الخاص بقرار الصلح بين الفريقين على مدى التاريخ كله كأحد البدائل الشرعية أمام ثائرة الصراع الداخلي على القرار.

ويظـل العمل بمنهج النمط الأوسـط منهج السـيادة لآل البيت من سـادات الصلح وبقيت السـيف في خدمة الشـعوب وحفظ شرف الديانة هو المشار إليه في نص الحديث النبوي لمن يفهم أبعاد النصوص الاستباقية.

ولكـن الأمر الـذي غلب على المواقـف المتعارضـة في جانب الإفـراط والتفريط نزع بالفريقـين إلى مـا سـماه النبي ﷺ بالنقـض والقبض، حتـى آل الأمر إلى مـا آل إليه من التضحيـة المشـتركة برجال النمط الأوسـط في مواجهـات غير متكافئة ليبرز الشـيطان منتـصراً في مواقف المندفعين والمتنفعين، منذ ذلك العهد إلى نهاية عهد الملك العضوض وما بعد ذلك...

إننـا هنا أمام دراسـة نصيّة وفهـم مقتبس من فقه التحولات المـشروع ولا علاقة لهذه الدراسـة بالعواطـف ولا بالعواصـف السياسـية والانتـماءات المذهبيـة والانفعـالات الطائفية والمماحكات التيارية، فالمواجهة الأساسـية هنـا عمق النظر والمتابعة للنصوص المعبرة عن المراحل والمواقف، والمعارك، وعن الأنظمة وقادتها وعن الكتل وتوجهاتها.

والوجهة التي عبرنا عنها هنا بالوجهة الأساسية تختلف اختلافاً جذرياً عن ديناميكية الوجهـة السياسـية التـي تنطلق منهـا نظريات وتطبيقـات المجموعـات المعاصرة ذات العلاقـة بتوريث الصراع الطائفـي عند قوم، والصراع الطبقي لـدى قوم آخرين، جيلا بعد جيل، وجيلاً قبل جيل تصاعدياً إلى ساعة التكون الضدي لطرفي الإفراط والتفريط وانتشـار حركتهما ضد سلامة التكون الشرعي لمبدأ النمط الأوسط المبارك إلى اليوم وما بعد اليوم.

إن المرحلة الكربلية بضلالها الثقيل والمؤلم كانت ثمرة من ثمرات النقض والقبض السـياسي المنحدر من تراكـمات المؤامرة على الخليفة المصطبر قبـل قتله، ومثال من أمثلة الهيمنة الدجالية في العقول المشغولة بالآليات والوسائل دون اشتغالها بسلامة الكليات وأهمية المفاصل وشرف الفضائل. فالآليات والوسائل التي أخذت بعقول الثائرين قبل قتـل الخليفة المصطبر أنشـأت مثيلاً مشـابهاً لتلك الآليات والوسـائل لقتـل الإمام على بـن أبي طالب، وضرب الإسـلام في أعـز مفاصله بما تراكم من المفاهيـم المقبوضة لدى خوارج المرحلة وعتاتها وشاهد هذه الهيمنة فهمهم الخاطئ لنصوص الديانة واتخاذ هذا الفهـم حجـة لطمس معالم الحـق وأهله كقول الخـوارج للإمام عـلي رضي الله عنه بعد قضية

التحكيم: (إنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نَابذْنَاك على سواء..)اهـ ومثل هذا التعليل الناري علّل قتلة الإمام الحسين فعلتهم الشنعاء وتبريرهم موقف الإمام الحسين بأنه خروج من الحسين على الإمام المبايع، مع أن الإمام الحسين لم ينكث بيعة لهم في عنقه حيث لم يبايع أحداً بعد تنازل أخيه ولم يخرج محارباً بل خرج مصلحاً ومقيماً حجة الله على عباده المتنازعين على القرار من غلاة المحبين وعتاة المبغضين وكان من أمر الله ما كان ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

لقد تبين بالنصوص القاطعة أن الحرب القائمة بعد المرحلة الكربلية بين طرفي الإفراط والتفريط على مقتضى الانحراف اتخذت شكلاً سياسياً نزع بالمجموعات المرتبطة به وبثمراته إلى توظيف بعض النصوص على مقتضى الانحراف الفكري الممارس، وصارت الفهوم العقلانية نصوصاً قاطعة لدى هذه المدارس كي تمارس الاقصاء والبتر والتشفي وحشد الأجيال للمنافسة والتحريش بعيداً عن أدب الإسلام واستخفافاً بمواقف أهل النمط الأوسط واستغناء عنها.

لقد حشرت المدارس المتباينة في ساحة الحركة السياسية مسألة آل البيت ورقة رابحة ورائجة يسهل الاستناد بالإشارة إليها ساعة الحاجة لتحريك عواطف الشعوب كما سهل الاستغناء عن ذكرها أو الإشارة إليها عند انقضاء الحاجة لهذا التحريك والإثارة، ولم تأت المرحلة الغثائية الأخيرة إلاّ وقد تشبعت متارس الفرق والجماعات والمذاهب والأفكار بأوراق اللعب السياسي بقضايا الإسلام كله ومنها قضية آل البيت.

أما في خضم الحركة العلمانية الأولى ... مع بداية الغثائية الناخرة تركيب المجتمع الإسلامي كله، فالأمر اقتضى التغيير الجذري الشامل وفق السياسة الدولية الغازية إذ كان المسلمون في حالة الوهن والتداعي من حيثيات كثيرة لا يفقهون أمر القرار ومن يديره ولا أمر الاستقرار ومن يزعزعه، واحتشد المئات من شباب الأمة في مدارس وجامعات ومؤسسات الغثاء منبهرين بالجديد الوافد، ومتبرئين من الفكر التقليدي الجامد، وتكونت المرحلة الثانية من الغثاء والمسماة بالعلمنة في يُسْر وسهولة، ليبرز الجيل العربي والإسلامي المعلمن على رأس التيارات والمدارس الحزبية والقومية، والليبرالية، والشيوعية والديمقراطية وما ماثلها من المسميات والشعارات الاصلاحية المعلمنة.

ولم تكد تحصد السياسة الغازية ثمرات العقل العربي والإسلامي المعلمن حتى امتدت تشكيلات الشعوب والمؤسسات والتيارات والجماعات إلى سياسة العولمة الشاملة ذات العلاقة بمفهوم التعددية الفكرية تحت الاطار العالمي الموحد، وكان لا بد من استيعاب التيارات الإسلامية المحضورة بعد ظهور أتباعها ومؤيديها لتدخل ظمن الإطار العولمي المسيس، وشهدت الأنظمة الموجهة عالمياً ضغوط القبول الحتمي للحزبية الإسلامية المؤطرة، إما في داخل الأنظمة ذاتها أو في خارجها المستثمر، بل وتمكنت بعض الأطر الحزبية الإسلامية من التعايش النوعي مع الحزبية الشيوعية واللبرالية ضمن أطار النظام الواحد في بعض الجمهوريات العربية والإسلامية المعاصرة.

وتكاد الظروف المعاصرة أن تبرز لنا اليوم موقع التيارات الإسلامية المتنوعة والمتباينة والمتعارضة وهي تحفز إلى جانب أشباهها وأمثالها من أطر الأحزاب العلمانية والإلحادية والمسميات المشابهة لمدلول الديمقراطية، والديمقراطية على صعيد الحركة السياسية ملبية مطلب الإصلاح الديمقراطي المشترك .. ومروضة شعوب الأمة على قبول التعايش النموذجي المشترك في قضايا الاقتصاد، والتربية، والتعليم، والإعلام، والثقافة، وحقوق المرأة، فهل يا ترى في هذا الزخم المتداخل أين ستكون قضية آل البيت؟ وأين ستكون قضايا الإسلام والمسلمين.

إنها لا بد أن تكون ورقة عمل .. ولكنها من نوع جديد يمكن به إنجاح الخروج من منطلق العولمة المسيسة إلى مرحلة الصيلمة الموعودة للأمة في أخبار من لا ينطق عن الهوى لتسهم بأيدي المسلمين أنفسهم على إنجاح (الفوضى الخلاقة) فوضى المذهبية، وصراع الطائفية، والحزبية التيارية، والكتل الدينية، وصراع الطبقية، والمناطقية والسلالية، وإشاعة الذم وإساحة الدم وتسخير الطاقات في الهرج والمرج المفضى إلى الفشل والخراب، والضعف والعجز أمام من سماهم النبي ﷺ دول الاستتباع: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «ومن؟» وكان أمر الله مفعولاً.

أما ما نحن بصدده، ونرجو الله أن يجعلنا من أهله فأمر لم يزل في طي الغيب وبطن الكتمان، ولكنه من نوع آخر مبتدأ ومنتهى، ومظهر وجوهر .. حكماً وعلماً واقتصاداً وتربية وتعليماً وجهادا واجتهادا، لا تناله أيدي السماسرة، ولا تعرف شرف معانيه

العناترة ولا العباقرة.

إنه أمر الله وكفى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل:١]، وسيظهر من حيث لا يدرك المختلفون موقع ظهوره وساعة حصوله وحضوره، فما الاختلاف إلا رحمة بالأمة وبالموعودات.

والموعودات فقه استباقي لا يؤمن به على وجه الحقيقة، ولا يملكه غير أهل النمط الأوسط ومن تبعهم بإحسان وصدق يقين وسلامة اعتقاد وحفظ اللسان عند الانتقاد وسوء الاستشهاد دون احتكار ولا احتناك ولا استحضار ولا استحقار ولا طلب ملك ولا سلطان، ولا استفزازية في فرد ولا جماعة ولا ضد ولا ند، وبرغم غريب ما نقوله هنا فإن الحق لا يتعدى هذا الوصف في أخريات الزمان أو قريباً منه خصوصاً لمن اتخذ من النصوص الواردة عن المتغيرات وقرأ في فقه التحولات منهجاً دراسياً، وعلماً منهجياً يقرأ به الزمان وما فيه بمن فيه.

أم الذين يقرءون النصوص على مقتضى ما تجري به حوادث الزمان فلا شك أنهم سَيفصِّلُون النصوص على مدى طول وعرض الفتن ومضلاتها لتصبح رافداً ومؤيداً للأئمة المضلين وسنداً للإفك وعباقرته المخلصين، ووسيلة شرعية لامتداد فقه المرابين والمرائين والناقضين والناكشين والقاتلين والقابضين والمرتبطين ببرامج المستعمرين والمستهترين والمستثمرين، وهلم جرا إلى أن يقضي الله في العباد ما يشاء كيف يشاء، وليس لنا بعد هذا إلا أن نقول ما قاله الحق في عباده الصالحين: ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ** ١٢﴾ [إبراهيم:١٢].

اللهم احفظنا والمسلمين من شر ما تأتي به الرياح، وما يذهب به المساء ويشرق به الصباح، واعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين بفضلك ومنك وكرمك يا أرحم الراحمين وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين ....

الآداب الموروثة في أدب المعاملة

الوصية بريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أهل الكساء رضي الله عنهم وأرضاهم

معترك الحياة بين شاهد ومشاهد الولاء والانتماء

مراحل الاختبار الصعب لمنهجية النمط الأوسط

دمُ الإمام الحسين رضي الله عنه بين الخاذلين والقاتلين

مرحلة التعايش في سبيل الاستقرار وسلامة الاستمرار

بداية النهاية

آثار المرحلة الكربلية ومخرجاتها